



## ملاحح الخطاب النقدي اللساني العربي

- في ضوء الإجراء النقدي اللساني والتلاسي -

أ / مبروك بركات - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر- ورقة

### المخلص :

يتناول هذا المقال جزئية إجرائية في النقد اللساني العربي تتمثل في ذكر بعض ملاحح الممارسة النقدية اللسانية في جانبها الإجرائي التطبيقي، وسنخصص الحديث عن ممارستين، وهما : الممارسة النقدية اللسانية المنبثقة من النقد الموضوعي المؤسس، والممارسة النقدية التلاسية المحتكمة للشخصية والذاتية .

الكلمات المفاتيح : النقد \_ اللساني \_ العربي \_ المؤسس \_ التلاسي

### Résumé

Cet article une particularite dans la critique linguistique arabe en loccurnce : la procedure critique linguistique imanant des types de la critique etablie et ne etablie .

On va tracer les traits de cette procedure a travers desexemples concernant lecriture linguistique arabe cencernant ; lecriture linguistique arabe centemporain.

**Mots clés :** critique \_ linguistique \_ arabe \_ cencernant \_ centemporain

### أولا : مفهوم النقد اللساني العربي :

يجسن بنا قبل بيان مفهوم النقد اللساني العام أن نقف وقفة مقتضبة عند تداول هذا المصطلح في الكتابة اللسانية العربية، فقد استخدم الباحثون مصطلحات متعددة تحمل مدلول النقد اللساني ؛ إذ

<sup>1</sup> - تاريخ الايداع : 2017-10-04 تاريخ الموافقة : 2017-10-19

استخدم مصطفى غلفان مصطلح « التحليل النقدي اللساني »<sup>(1)</sup> للدلالة عليه ، واختارت فاطمة البكوش مصطلح « النقد اللساني »<sup>(2)</sup> وأسندته إلى مستوى النحو من بين المستويات اللسانية الأخرى ، واستعمل نعمان بوقرة المصطلح نفسه في الدلالة على المراجعات اللسانية في شتى الفروع والمستويات اللغوية<sup>(3)</sup> ، وأما حافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاخ فقد آثرا مصطلح « الكتابة النقدية » وجعلاه منضويا تحت مصطلح آخر وهو « إبستمولوجيا اللسانيات العربية »<sup>(4)</sup> .

والمصطلح الذي أقر به هو «النقد اللساني» لأنه جاء مختصرا ، ومبينا للغاية المنوطة به ، أما مصطلح التحليل النقدي اللساني فلا يدل دلالة مباشرة على النقد ، ولأن كلمة " التحليل " تسوغ للقارئ أن يفهم منها تحليل النقود اللسانية ، فينتج عن ذلك نقد على نقد ، وهذا المدلول - وإن كان مقصودا - فالمصطلح الذي ارتضيناه من الممكن أن يحتمله ، وأما مصطلح الكتابة النقدية فإنه إذا جاء في غير السياق الذي ورد فيه فإنه لا يتيح للقارئ بيان المجال المقصود بالنقد ، إلا بإضافة تحديدية تحيل إلى الكتابة النقدية اللسانية أو فرع من فروعها<sup>(5)</sup> .

ولمصطلح « النقد اللساني » عدة تعريفات منها تعريف توصلنا إليه من خلال توضيح مصطفى غلفان لبعض الأسس التي ينبغي أن يكون عليها التحليل النقدي اللساني، ويمكن أن نصوغها في التعريف الآتي : النقد اللساني هو الذي يستطيع أن يخلق بينه وبين العمل المستهدف نقدا حوارا علميا مثمرا غير مختصر في إصدار أحكام قيمية بالسلب أو الإيجاب دون تبرير أو تفسير يستند لمبادئ منهجية محددة بغية التوصل إلى نتائج نظرية ومنهجية أو تطبيقية في مجال لساني معين<sup>(6)</sup> .

1- مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ، جامعة الحسن الثاني عين الشق ، رسائل و أطروحات ، رقم 4 ، 1991 ، ص 56 - 57 .

2- ينظر : فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2004 ، ص 57 .

3- نعمان بوقرة : ملامح التفكير اللساني الحديث عند حمزة بن قبلان المزيني ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، ع 10 ، ص 36 .

4- ينظر : حافظ إسماعيلي علوي - محمد الملاخ ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ، النار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ط 1 ، 2009 ، ص 187 .

5- ينظر : مبروك بركات ، نحو نقد لساني عربي مؤسس - جهود مصطفى غلفان نموذجا - ، مجلة الناكرة ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 2 ، 2013 ، ص 182 .

6- ينظر : مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية الحديثة ، ص 56 - 57 .

وقد استفاد الباحث حسين بوشنب من المفاهيم التي أوردها غلفان فأورد تعريفاً للنقد اللساني، مفاده أنه " ذلك النقد الذي ينطلق إلى موضوعه المستهدف نقداً، بمرتكزات وأسس لسانية عامة أو جزئية خاصة" (1)، ويقصد بالمرتكزات اللسانية العامة الأسس المشتركة بين المدارس اللسانية المعروفة، وأما المرتكزات الخاصة فيعني بها الأسس التي تختص بها نظرية لسانية معينة (2).

وأما مصطلح « النقد اللساني العربي » فيأخذ جانباً من مدلوله من مفهوم النقد اللساني العام الذي سلف ذكره، ولكنه يحمل مدلولاً تخصيصياً من الناحية الجغرافية والموضوعية، يتمثل في لفظة « العربي »، والتي تدل على أن هذا النقد يُعنى بالكتابة اللسانية العربية، ومن هذا المنطلق يمكن تعريفه بأنه: النقد الذي يعنى بالكتابات اللسانية التي تعنى باللغة العربية سواء أكانت هذه اللغة أم بلغة أجنبية، متتبعا مسيرتها ومقياً ومقوماً لمنجزها اللساني، ومحاولاً الكشف عن جدية تطبيق النظريات اللسانية من عددها عند اللسانيين العرب، وذلك باستخدام أدوات علمية مضبوطة وضابطة.

### ثانياً: ملامح النقد في ضوء الإجراء اللساني المؤسس:

تحيل هذه الممارسة إلى النقد اللساني المؤسس الذي يقوم على مقومات نقدية ورؤى منهجية تضمن للناقد اللساني رؤية واضحة وترباطاً منهجياً بين المقدمات والنتائج، وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها، ويتسم هذا النقد بالتماسك والانسجام في التحليل (3).

فالنقد المؤسس من هذا المستهل لا يمكن أن يوصف بهذه الصفة إلا إذا التزم فيه الناقد بأسس منهجية متبعة، واستند إلى منحنى نقدي يمثل الأدوات الضابطة له.

ويروم هذا النقد تحديد نقاط الضعف والقوة - وبدقة - في مسيرة البحث اللساني العربي بغية الرقي به، وأهم ما يميز به بعده عن التشخيص والأحكام القمية والاستهجان والرضى العاري عن الدليل، وبالنظر لهذه الميزات فإن هذا النقد هو الذي يجدر بالنقاد أن يؤسسوا له في الثقافة اللسانية العربية، وأن تفتح له الأبواب في الدراسات الأكاديمية وفي المجالات والمراكز التي تعنى بالشأن اللغوي لنضمن مواكبة إيجابية ومثمرة بينه وبين النتاج اللساني العربي لتقييم خطواته وتقويمها.

<sup>1</sup> - حسين بوشنب: النحو العربي القديم والنقد اللساني الوصفي الخارجي، مذكرة ماجستير، إشراف عمار ساسي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2006، ص 95.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

<sup>3</sup> - ينظر: حافظ إسماعيلي علوي - محمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 194.

إن المساطر النظرية لهذا الصنف من النقد اللساني قد تبدو مغرية لمن يخوض غمارها، ولكنها ليست أرضاً مفروشة ومطلبا سهل المنال، ولذا فإننا إذا فحصنا واقع النقد اللساني العربي في مجمله نجد أن الثقافة العربية لم تقطع شوطا كبيرا فيه، في ظل غياب موجّهات نظرية تسعف الناقد في معرفة المجال الذي يجدر به أن ينتهجه، والأدوات النقدية التي ينبغي أن يعتمد عليها، ولكن على الرغم من هذا الواقع المتزدي فإننا لا نعدم محاولات نقدية سعت إلى الغايات التي يتغيها هذا النقد، وترجمها جهود بعض اللسانيين، نذكر منها :

- جهود عبد السلام المسدي : تناول في كتابه : «اللسانيات وأسسها المعرفية» بعض عقبات البحث اللساني العربي ، ناشدا من ذلك تشخيصها واقتراح بعض الحلول على العاملين في هذا الحقل لكي يبعثوا واقعا نيرا ، ووجهها آخر للبحث اللساني<sup>(1)</sup> .

وتتجلى الرؤية النقدية المؤسسة في جهد هذا اللساني في تحديده للأسباب التي عرقلت نجاح هذا البحث اللساني العربي وبلوغه الغاية المرغوبة، وفي عدم تعميمه لتلك الأسباب فقد أدرك أن ما يصدق على موطن لا يصدق في آخر، وما يصدق في رقعة من الوطن العربي لا يصدق في أخرى<sup>(2)</sup> .

- جهود عبد القادر الفاسي الفهري : ذهب في مقال له بعنوان : «اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق» إلى أن "وضع اللسانيات في الأقطار العربية من وجهة معرفية خالصة يطبعه التشتت والتسيب"<sup>(3)</sup> .

ولم يكنف بهذا التوصيف، بل راح يذكر بعض مظاهر هذا التسيب (كالتسيب المرجعي والتقصير في التوثيق و اضطراب المصطلح ...) ، وكان في عرضه لكل مظهر يبين السبيل الذي يمكن من خلاله للباحثين تخطي ذلك المظهر التسيبي .

وظهر الفهري موضوعيا في الطرح إذ لم يقتصر على تعداد مثالب البحث اللساني ، فقد قرر أن في اللسانيات العربية على مستوى الأفراد على الأقل ، ما يدعو إلى الشعور بالتقدم ، أو بضرورة التقدم في بعض مناحيها<sup>(1)</sup> .

<sup>1</sup> - ينظر : عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، دط ، 1986 ص 11 - 20 .

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 12 .

<sup>3</sup> - عبد القادر الفاسي الفهري : اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق ، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، ندوة جوهية أبريل 1987 الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1991 ، 11 - 17 .

وقدم في نهاية مقاله بعض الآفاق التي ينبغي على اللسانيات العربية أن تصل إليها ، وأبرز السبل الموصلة إلى ذلك أيضا<sup>(2)</sup> ، ويظهر أن هذا الأسلوب في الطرح يستند إلى مقومات نقدية مؤسسية تضمن له التصنيف في النقد اللساني المؤسس .

ولكن هاتين المحاولتين على الرغم من أنهما وضعتا قدمهما في مجال النقد اللساني العربي المؤسس فإنهما بقيتا بحاجة إلى بحوث نقدية أخرى تتم ما استهلتاه، بحوث تحاول أن تبحث عن إجراءات نقدية أكثر علمية ، تستفيد من السابق ولا تلغيه .

ويبدو أن حقل النقد اللساني العربي لم يكن عقيما، فقد ظهرت في نهايات القرن العشرين ، جهود نقدية للبحث اللساني لا يسع الباحث إلا أن يصنفها في صنف الدراسات النقدية المؤسسية ، وتجلت بصورة واضحة في الدراسات الأكاديمية التي يبذل فيها الباحثون جهودا مضمّنية تستند إلى أدوات منهجية ونظرية تساعد على متابعة الدراسات اللسانية متابعة جادة وواضحة، ولعل جهود الباحث مصطفى غلفان التي ضمنها في بحثه الموسوم بـ : « اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية » الذي نال به الدكتوراه من أبرزها، ولا تغفل ذكر دراسة أكاديمية أخرى سلكت منحى النقد والتقويم للمنجز اللساني العربي، مستفيدة من دراسة الأستاذ غلفان ووسعت فيها بما أتيح لها من معطيات وكتابات جديدة<sup>(3)</sup> ، وتمثلت في دراسة حافظ إسماعيلي علوي الموسومة بـ : « اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته - » .

وهناك دراسة أراها جديرة بأن تندرج في هذا النوع من الممارسة النقدية، ومؤهلة لأن تمدنا بصورة مقتضبة عن بعض ملامح النقد في ضوء هذه الممارسة، ويمثلها كتاب : « المنوال النحوي - قراءة لسانية جديدة - » لعز الدين المجدوب ، إذ تناول فيه بعض الدراسات النحوية التي تقدمت التراث بالدراسة النقدية ، محاولا إعطاء كل دراسة قدرها من النقد ، مبرزاً أخطاءها ونقائصها . والذي يبين أحقية هذه الدراسة بأن تصنف ضمن هذه الممارسة :

<sup>1</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 21 - 36 .

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 37 - 38 .

<sup>3</sup> - ينظر : حافظ إسماعيلي علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته ، دار الكتاب الجديد ، ط 1 ، 2009 ، ص ، 15 .

1 - تحديد الدارس للمدونة المنقودة، والغاية من دراستها، وذلك في قوله : " هذا العمل قراءة للتراث النحوي ومحاوره له بالاعتماد على إطار نظري واضح ومتناسق، ينطلق من قراءات التراث السابقة له من إبراهيم مصطفى إلى تمام حسان فيعتمدها ويبنى عليها، وهو إذ يقدرها حق قدرها يحاول أن يتفادى أخطاءها وقائصها " <sup>(1)</sup>، فقد بين هذا التمهيد أن الكتب النحوية المعنية هي كتب تيسير النحو العربي في العصر الحديث، وصولاً إلى بعض الكتابات التي انتهجت المنهج الوصفي .

2 - استعانتها بأدوات نقدية مستمدة من الاستمولوجيا - فلسفة العلوم - <sup>(2)</sup>، إذ غرض هذه الأخيرة هو الدراسة النقدية " للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية " <sup>(3)</sup>، ولا غرو أن هذه الإفادة ستسهم في علمنة هذا النقد وتأسيسه .

3 - انطلق الدارس من فرضية معينة لاحظها في المدونة المنقودة، وهي اتصافها بسمة التجريبية، ويقصد بها " قلة التنظير للممارسة العملية وعدم وعي الباحث بالمسلمات التي ينطلق منها وعدم تفكيره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية " <sup>(4)</sup>، ولكنه لم يجعل أثر هذه السمة مطلقاً، فقد بين أن ما نلمسه من تجريبية في أعمال اللسانيين قد لا يكون ناشئاً عن تقصيرهم وضعف تكوينهم دوماً، وإنما قد تتحكم الظروف التاريخية في جهودهم .

4 - بوب المقاربات الحديثة التي تناولت التراث النحوي العربي بالعرض والتحليل إلى قسمين، مقاربات لا تنتسب إلى اللسانيات صراحة، وصنف فيها جهود إبراهيم مصطفى ومهدي الخزومي، ومقاربات تنتسب إلى اللسانيات صراحة، وتضمنت جهود إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وهذا التبوب يعد صمام أمان للنقد من أن يلبس العمل المنقود نقداً لا يتواءم مع مرجعيته ومصادره، فحاسبة الدراسات التي تنتسب إلى اللسانيات صراحة، ليست مثل التي تزعم الانتساب إليها علناً .

5 - سعى الدارس إلى تبيان المظاهر الإيجابية التي اشتملت عليها الدراسات المنقودة دون مبالغة في التمجيد والتنويه، كما عدد ما اشتملت عليه من هنات ومثالب دون سخرية واستهزاء، مستنداً في ذلك كله إلى المنطلقات التأسيسية التي بنى عليها نقده .

<sup>1</sup> - عز الدين المجدوب : المنوال النحوي العربي - قراءة لسانية جديدة - ، دار محمد علي الحامي ، تونس ، ط 1 ، 1998 ص 05 .

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 05 - 06 .

<sup>3</sup> - حافظ إسماعيلي علوي - محمد الملاح : قضايا إستمولوجية في اللسانيات ، ص 21 .

<sup>4</sup> - عز الدين المجدوب : المنوال النحوي العربي ، ص 12 .

6- تميزت دراسة الباحث بتوظيف نظرية لسانية حديثة في النقد قلما وجدت القبول في الدراسات الغربية فضلا عن الدراسات العربية وهي نظرية الغلوسيماتيك لهلمسليف<sup>(1)</sup>، وقد استطاع أن يبرهن أن المبادئ العامة لهذه النظرية قد تمنح النقد النحوي علمية وموضوعية .

وينبغي أن ننبه إلى أن اقتصارنا على إيراد هذه الدراسات في مجال الممارسة النقدية اللسانية المؤسسة لا يعني أنها هي الوحيدة التي تنال فضل الاندراج فيه، وإنما رمنا من خلال ذلك إعطاء صورة مقتضبة عن هذه الممارسة التي تحددت أبرز خصائصها باعتمادها على الأسس النظرية والمنهجية النقدية، وابتعادها عن الأحكام القمية المجردة، فهي تقوم على تشخيص مكامن النقص وبيان سبل الخروج منها بغية الرقي بالبحث اللساني العربي، وتتضح خصائصها بشكل أكثر جلاء بتناول الممارسة المقابلة لها .

### ثالثا : ملامح النقد في ضوء الإجراء التلاساني اللامؤسس :

ويتجسد هذا الإجراء في النقد غير المؤسس الذي يفترق لمقومات نقدية ورؤية منهجية تضبط الناقد اللساني وتوجهه في عمله، ومن سماته إلقاء الأحكام القمية، وعدم التناسق والانسجام في التحليل، وهو إجراء أقرب إلى الشفوية واللغة الصحافية منه إلى اللغة العلمية الرصينة، وله في الثقافة اللسانية العربية عدة مظاهر ، نذكر منها :

1- القبح والتجريح : ونعني بهما أن الناقد يخرج من نقد الجهد اللساني إلى نقد صاحبه ووسمه بشتى صفات النقص مع ما يحمله في طياته من تهكم وسخرية وتجريح ومصارعة كلامية، وقد وقفت على هذا الملمح في نقد محمد الأوراعي لعبد القادر الفاسي الفهري في سياق رده على موقف هذا الأخير من تفضيل النظريات اللسانية الحديثة على مفاهيم التراث اللغوي العربي مستخدما عبارات لا تحتاج من القارئ أدنى تركيز لكي يدرك مدى إغراقها في النقد الشخصاني للفهري، ومن ذلك قوله في حقه : " .... لا يتبنى الأطروحة المذكورة أو ينساق وراءها إلا مصاب بالكسل الذهني ممن يتوسل إلى المناصب الإدارية بالدعوة إلى تحديث الفكر العربي، ويجد تجديده محصورا في تقليد الغرب وترك تقليد العرب"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 52 - 57 .

<sup>2</sup> - محمد الأوراعي : نظرية اللسانيات النسبية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2010 ، ص 41 .

فإيراد مثل هذه الصفات في سياق نقد الأطروحات اللسانية لا تزيد قوة وحجاجة، بل ترهنه في إفسار الأحكام القيمية الشخصية التي لا تنفيذ للرأي الذي وجه إليه النقد بشيء ذي بال، ولا يجني منها القارئ إلا كلاماً أقرب ما يكون إلى المصارعة والتنازع منه إلى العلمية .

وتقف على النقد التلاسنّي عند الأوراعي في موضع آخر أراد من خلاله أن يبين الأسباب التي تنحو ببعض اللسانيين - ويقصد الفهري - إلى معاداة التراث وتمجيد اللسانيات الحديثة، فقال : " شرع جامعيون يربطون مشاريعهم العلمية بمناصب إدارية مستهدفة فتكون ثقافة " الاستنصاب " التي تقوم على تكوين الاعتقاد بأن القطاع اللغوي مثلاً تتحل مشاكله الحل الأمثل بالتطبيق المحلي لأحد النماذج الغربية"<sup>(1)</sup>.

وإن هذه المظاهر النقدية التي أوردتها الأوراعي، وإن كان لها وجود في الواقع فإننا لا نشجع على نشرها في الثقافة اللسانية لأنها لن تنحو بنا إلى نقد مؤسس مصلح وإنما تؤدي إلى التنازع والمصارعة بين اللسانيين التي تجعلهم يقرأون لبعضهم بعض من منطلق خلفية شخصية، ووضع مثل هذا لا نشك أبداً في تأثيره السلبي على السير نحو نقد لساني مؤسس يرقى بالمنجز اللساني العربي ولا يرهنه في الشخصية والتلاسن .

ونلمس هذا المظهر السلبي للنقد اللساني عند ناقد بارز يتمثل في حمزة بن قبلان المزيني، في توجيهه نقداً لرمضان عبد التواب ليثني باللائمة على كتابي تلميذين من تلاميذه ويخص الحديث كتاب : ملامح من تاريخ اللغة العربية لصالح الدين حسنين، وثانيتها عنوانه ملامح من تاريخ اللغة العربية لأحمد نصيف الجنابي، إذ يقول عنها : " إن النتيجة التي يخرج بها الباحث هي أن هذين المؤلفين لم يعمدا إلى ما عملاه إلا بسبب أخذهما عن أستاذهما الاستخفاف بالمنهج العلمي روحاً ونصاً، فلو حملها أستاذهما أثناء إشرافه عليهما على التمسك بالمنهجية لَمَا وَقَعَا هذا الموقع ولو أنها رأياً رأياً فيه مثلاً جيداً لتابعاه واقتديا به"<sup>(2)</sup>.

وإن الملائسة والمصارعة واضحة في هذا الخطاب، ينضاف إليها بعد عن الموضوعية بونا شاسعاً، لأن الناقد يحمل الأستاذ ما يعتقد أنها جرائم علمية وقع فيها تلاميذه، وهذا أمر ليس على إطلاقه، وإنما

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 52 .

<sup>2</sup> - حمزة بن قبلان المزيني : مراجعات لسانية ، النادي الأدبي ، الرياض ، ط 1 ، 1990 ، ص 81 ، نقلاً عن ملامح التفكير اللساني الحديث عند حمزة بن قبلان المزيني ، نجان بوقرة ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 10 ، ص 37 .



يخضع لحدود وإشارات تستفاد من إقرار باتباع المؤلف لتوجيهات أستاذه، أو آرائه في العمل المنقود في حد ذاته .

ويلاحظ المتابع للخطاب النقدي المشوب بهذه المثلية أنه متداول بين اللسانيين الرواد والبارزين بكثرة تأليفهم، أو موجه إليهم أكثر من غيرهم، بسبب شدة المنافسة بينهم، ولوزن الأفكار التي يطرحونها في كتاباتهم، بالإضافة إلى أن شهرتهم قد طارت في الآفاق بحكم أن جملهم أسهم في تقديم اللسانيات الغربية للثقافة العربية .

وإن التأسيس لممارسة نقدية مؤسسة يقتضي من المشتغلين بهذا المجال وضع النقد غير المؤسس في حيزه الاجتماعي والسياسي، لا أن توطد له العرى في البحوث العلمية، وأن لا يتم الإيغال في التشهير بالمستهدفين به، وإنما ينبغي أن يعالج معالجة جدية تقي الثقافة اللسانية من ويلاته التي ترجع على البحث اللساني بالضرر أكثر مما تنفع .

2- استخدام المدح والتنويه المفرطين : ومن مظاهر الإجراء النقدي غير المؤسس تبطين الخطاب بعبارات المدح والتمجيد المفرطين للعمل المستهدف بالنقد دون أن يحتكم الناقد في ذلك إلى أسس علمية، بالإضافة إلى عدم تقديمه أدلة تقنع القارئ باستحقاق العمل لكل ذلك، وقد لمسنا هذا النقد عند أحمد علم الدين الجندي في حديثه عن كتاب الأصول لتمام حسان قاتلا : " أضفى الأستاذ على عمله منهجا جديدا أبعد عنه السأم مما حبب إليه القارئ، فلا فضول ولا التواء"<sup>(1)</sup> ، ويبدو أن هذا التنويه يعود إلى أن المقال جاء في كتاب تكريمي لتمام حسان .

ويكثر هذا المظهر النقدي السلبي في خطاب التقديم للكتب، إذ يجد المقدم نفسه ملزما بالمجاملة والإطراء، ومجازاة لمؤلف الكتاب الذي أقام له اعتبارا فخصه بهذه المزية، ومن الأمثلة على ذلك رأي أحمد العلوي في كتاب : قضايا إستمولوجية في اللسانيات لحافظ إسماعيلي علوي ومحمد الملاح، إذ يقول : " هذا الكتاب الذي بين أيدينا ينتمي إلى الصنف الثاني، تحس وأنت تقرأ فصوله أن كاتبه كانا يعرفان قضاياه في لباسها المعنوي قبل صبها في مساحتها اللفظية، لذلك تحس بالفوز وأنت تقرأه لأن العقد القرأئي بينك وبين كاتبه لم يتعرض لخيانة ولا خداع"<sup>(2)</sup> .

<sup>1</sup> - عبد الرحمن حسن العارف وآخرون : تمام حسان رائدا لغويا ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 ، ص 39 .

<sup>2</sup> - حافظ إسماعيلي علوي - أحمد الملاح : قضايا إستمولوجية في اللسانيات ، ص 15 .

ووقفنا على النقد المصوغ بالجمالة عند صالح القرمادي في تقديمه لكتاب الطيب البكوش الموسوم بـ : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، قائلا عنه : " عمل طيب أساسا كاسم صاحبه، منهجية علمية رصينة في جملتها اطلاع واسع على نظريات النحو العربي القديم ومبادئ الألسنية وعلم الأصوات الحديث، روح تجديدية في روية واتزان " (1)، وتقضي مني الموضوعية أن أقر أن هذه العبارات أوردتها الكاتبة بعد نقد علمي لبعض قضايا الكتاب، ولذا فإن وطأتها خفيفة على الخطاب النقدي العام، وأما لو أكتفى الناقد بالمدح وحسب فإن النقد له يشتمد، وذلك لأن النقد الموضوعي قد يتيه في خضم المدح والتمجيد، ولا تتجلى ثمرته بوضوح .

وإن مقارنة سريعة بين النقد التجريبي والتمجيد قد تنبئ بأن الأول أشد وطأة من الثاني، ولكن الحقيقة أن كليهما يشكلان خطرا جسيما، فهما لا يعالجان المنجزات بروية موضوعية محضة، وإنما يمزجان النقد بالرؤية الشخصية المحتكمة للاستهجان والرضى، ولذا ينبغي شجبها إلا القدر الذي يبين الهنات اللسانية الواردة في الأعمال، أو يحمل اعترافا بتفوق عمل معين وحيارته لقص السبق في قضية ما أيضا . 3- ازدواجية الخطاب النقدي : يطلق حافظ علوي على المظهر مصطلح النفاق العلمي (2)، ويقصد به أن يتخذ الناقد موقفا من قضية معينة أو رأي ثم لا يفتأ أن يغيره إذا وجد طرفا معيناً يتحرج فيه من ذكر الرأي الأول، كأن يكون في سياق الجمالات أو الكتب التكريمية، أو أن يكون صاحب العمل المستهدف بالنقد حاضرا في المنتقى العلمي أو غير ذلك من الحالات والمواقف، وبناء على هذا التحديد فإننا لا نعتبر تغيير الناقد رأيا في مسألة معينة من حين لآخر بالنظر إلى ما جد من دراسات ونظريات واطلاعات جديدة داخلا في ازدواجية الخطاب النقدي، وإنما يعد مظهرا صحيا للنقد الداتي .

وتقف على ازدواجية الخطاب النقدي عند عبده الراجحي في مهاجمته للسانبي المغرب العربي وخاصة التوليديين منهم في محاضرة معنونة بـ : « النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من اللغة العربية » ألقاها في النادي الأدبي في جدة، وما ورد فيها يتناقض كليا مع ما ذهب إليه في المحاضرة التي ألقاها في الرباط : النحو العربي واللسانيات المعاصرة " (3) .

<sup>1</sup> - الطيب البكوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، المطبعة العربية ، تونس ، ط 1 ، 1992 ، ص 15 .

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 192 .

<sup>3</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 192 .

ويتجلى من خلال ذلك أن هذا الناقد لم يحتكم إلى الموضوعية العلمية في الطرح في كلا موضوعي الخطاب وإنما احتكم لجانب آخر خارج الإطار اللساني، وهو مراعاة المناسبة المكانية، إذ إنه في محاضرة جدة بين رأيه الصريح، وأما في محاضرة الرباط فقد احتكم خطابه النقدي للمجاملة، لأن المستهدف بالنقد هو منظم الندوة، ولا يخفى ما في هذا النوع من النقد من الذاتية وعدم التأسيس الذي لا ينطلي على المتابعين والمدققين .

#### خاتمة:

نستخلص من العناصر التي بحثناها في هذا المقال ما يأتي :

1 - إن مصطلح النقد اللساني له في الثقافة اللسانية العربية عدة مصطلحات تدور في فلكه، وأبرزها : التحليل النقدي اللساني، والكتابة النقدية، وقد اخترت مصطلح النقد اللساني للأسباب المذكورة آنفا .

2 - إن الممارسة النقدية اللسانية تقوم على مقومات نقدية مؤسسية، و رؤى منهجية تضمن للناقد اللساني رؤية واضحة وترابطا منهجيا بين المقدمات والنتائج، وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها، وهناك عدة كتابات لسانية عربية تنال التصنيف في هذه الممارسة، ونذكر منها كتابات على وجه التمثيل لا الحصر، كتاب المنوال النحوي - قراءة لسانية جديدة - لعز الدين المجدوب ، واللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية - لمصطفى غلفان .

3 - إن الممارسة النقدية التلاسانية غير المؤسسة تتسم بافتقارها لمقومات نقدية ورؤية منهجية تضبط الناقد اللساني وتوجهه في عمله، ومن سماتها إلقاء الأحكام القيمية، وعدم التناسق والانسجام في التحليل، وهذه الممارسة ليس بالضرورة أن تكون واضحة في كتب مفردة، وأن يتسم بها كتاب من أوله إلى آخره، ولكنها قد تكون متغلغلة في الكتابات النقدية والدراسات، وقد لا تسلم منها الكتابات النقدية المؤسسة في بعض الأحيان، لارتباطها بالأهواء الشخصية والذاتية للنقاد، ويدفع إلى ذلك حب الانتصار للآراء، ورغبة التحلي بالصوابية أيضا .